

## رسالة غبطة البطريرك مار نصر الله بطرس صفير الميلادية

٢٠٠٢/١٢/٢٣

"وعلى الارض السلام" (لو ١٤:٢)

"أشودة الملائكة، ليلة الميلاد، تحمل الى الناس ما يتوقون اليه، منذ ان كانوا على الارض، من سلام ورجاء. وقد أعطانا القديس لوقا في انجيله بعض تفاصيل عن ميلاد المسيح، فأخبرنا ان يوسف والده بالتبني صعد من الناصرة... الى بيت لحم... ليكتب هناك مع مريم خطيبته، وهي حبل. وهم هناك، تمت ايامها لند، فولدت ابنها البكر، ولفته بالقماطات، ووضعته في مذود، لانه لم يكن لها موضع حيث نزلا. وكان هناك، حيث نزلا، رعاة يحرسون في هجعة الليل مواشיהם، و اذا بملك الرب قد وقف بهم، ومجد الرب أشرق عليهم، فخافوا خوفا عظيما. فقال لهم الملك: لا تخافوا، لأنني هأنا أبشركم بفرح عظيم يكون للعالم كله، لأنه ولد لكم المخلص الذي هو المسيح الرب، في مدينة داود. وهذه علامة لكم: تجدون طفلا ملفوفا بالقماطات، موضوعا في مذود. وفجأة ظهر لهم مع الملك، كثير من جنود السماء، يسبحون الله ويقولون: "المجد لله في العلي، وعلى الارض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر".

هذا هو المشهد المفرح والمحزن معا، انه مفرح لأن الله أتم وعده، وأرسللينا ابنه الوحيـد، ليرشدنا الى الطريق المؤدية اليه. وقد استقبله جند السماء، وبشرـوا العالم بالسلام والرجاء لمن يعرفـون ان يعترفـوا به ربـاً وإليـها، ويمجدـوه لـانـه وحـده يستحقـ التـمجـيد. ولا سـلام ولا رـجـاء لـم يـنبـعا مـن قـلبـه الـالـهـيـ، اـنه إـلهـ حقـاـ. والـمحـزن لأنـ ابنـ اللهـ، سـيدـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ، يـولدـ مـن بـتـولـ فـي مـغـارـةـ حـقـيرـةـ، وـيـوـضـعـ فـي مـذـودـ كـأـحـقـرـ ما يـوـلـدـ اـنـسـانـ. لـقـد اـخـتـارـ اـن يـوـلـدـ فـي قـرـيـةـ مـجـهـوـلـةـ يـوـمـذاـكـ، وـشـهـيرـةـ، الـيـوـمـ، وـيـاـلـلـأـسـفـ الشـدـيدـ، بـمـا يـرـتـكـبـ فـيـهاـ مـن مـظـالـمـ، وـيـقـعـ مـن قـتـلـ وـجـرـحـ، وـيـسـودـهاـ مـن اـحـقـادـ وـكـراـهـيـةـ. وـشـاءـ اـن يـوـضـعـ فـي مـذـودـ حـيـوانـاتـ، وـلـمـ يـجـدـ حـولـهـ الاـ اـمـهـ وـأـبـاهـ بـالتـبـنيـ. فـهـوـ حقـاـ فـيـ حاجـةـ اـلـىـ قـمـاطـاتـ تـلـفـهـ، وـدـفـءـ اـنـسـانـيـ لـمـ يـجـدـ الاـ لـدـىـ وـالـدـيـهـ. اـنـهـ اـنـسـانـ حقـاـ.

لـقـد أـرـادـ اـن يـدـخـلـ الدـنـيـاـ كـسـائـرـ النـاسـ، وـهـوـ لـا يـمـلـكـ شـيـئـاـ مـنـ حـطـامـهـ، وـعـاـشـ عـيـشـةـ فـقـرـيـةـ، لـيـعـلـمـنـاـ أـلـاـ نـتـهـالـكـ عـلـىـ جـمـعـ الـمـالـ، فـنـجـعـ مـنـهـ رـبـاـ، عـلـىـ مـاـ حـذـرـنـاـ مـنـهـ بـقـوـلـهـ: "لـاـ يـسـتـطـعـ أـحـدـ اـنـ يـعـدـ رـبـيـنـ، فـاـنـهـ اـمـاـ أـنـ يـبـغـضـ الـوـاحـدـ وـيـحـبـ الـآـخـرـ، وـاـمـاـ اـنـ يـجـلـ الـوـاحـدـ وـيـحـقـرـ الـآـخـرـ. فـأـنـتـمـ لـاـ تـسـتـطـعـونـ اـنـ تـعـبـدـوـ اللهـ وـالـمـالـ". وـعـلـىـنـاـ انـ نـكـفـيـ مـنـ خـيـراتـ الدـنـيـاـ بـمـاـ اـكـنـقـيـ هـوـ بـهـ، اـيـ الـكـفـافـ مـنـ خـبـزـنـاـ الـيـوـمـيـ وـاـنـ نـخـرـجـ مـنـهـاـ، مـثـلـمـاـ خـرـجـ هـوـ مـنـهـ، دـوـنـ اـنـ يـتـرـكـ وـرـاءـ شـيـئـاـ مـنـ حـطـامـهـ.

اـنـهـ حقـاـ إـلـهـ وـاـنـسـانـ، لـذـلـكـ اـسـتـطـاعـ اـنـ يـكـونـ الـمـخـلـصـ، وـقـدـ عـرـفـ، وـهـوـ مـكـونـ الـكـوـنـ بـمـاـ فـيـهـ اـنـسـانـ، اـنـ هـذـاـ الـاـخـيـرـ لـاـ يـمـكـنـهـ اـنـ يـقـوـيـ عـلـىـ الـخـلـاـصـ بـذـاتـهـ، وـاـنـهـ فـيـ حاجـةـ اـلـىـ مـنـ يـخـلـصـهـ اوـلـاـ مـنـ ذـاتـهـ، بـعـدـمـاـ اـصـبـحـ مـنـقـسـماـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـسـبـبـ الـخـطـيـئـةـ الـاـصـلـيـةـ، وـرـاحـ يـصـنـعـ الشـرـ الـذـيـ لـاـ يـرـيدـ، وـيـحـجـمـ عـنـ صـنـعـ الـخـيـرـ الـذـيـ يـرـيدـ، عـلـىـ مـاـ يـقـولـ بـوـلـسـ الرـسـوـلـ: "الـخـيـرـ الـذـيـ اـرـيدـ اـنـ اـفـعـلـهـ، لـاـ اـفـعـلـهـ. بلـ الشـرـ الـذـيـ لـاـ اـرـيدـ اـنـ اـفـعـلـهـ، فـاـيـاهـ اـفـعـلـ" وـهـذـاـ يـعـنـيـ اـنـ عـلـىـ اـنـسـانـ اـنـ يـكـونـ حـذـرـاـ تـجـاهـ نـفـسـهـ، اـكـثـرـ مـنـهـ تـجـاهـ سـوـاهـ مـنـ اـنـسـانـ. وـهـوـ لـنـ يـقـوـيـ عـلـىـ ذـلـكـ الاـ اـذـاـ ظـلـ قـرـيبـاـ مـنـ رـبـهـ، يـصـغـيـ لـهـ فـيـ سـرـهـ، وـيـعـمـلـ بـوـحـيـ الـهـامـاتـهـ، فـيـعـالـمـ اـنـسـانـ، كـمـاـ يـرـيدـ اـنـ يـعـالـمـوـهـ، عـلـىـ مـاـ قـالـ لـنـاـ الرـسـوـلـ يـسـوعـ: "كـلـ مـاـ تـرـيـدـونـ اـنـ يـفـعـلـهـ اـنـسـانـ لـكـمـ، اـفـعـلـوـهـ اـنـتـمـ لـهـمـ اـيـضاـ. هـذـاـ هـوـ النـامـوـهـ وـالـاـنـبـيـاءـ وـمـنـ هـنـاـ تـبـدـأـ طـرـيـقـ السـلـامـ الـمـنـشـودـ الـذـيـ بـشـرـ بـهـ الـاـرـضـ جـنـدـ السـمـاءـ.

أيها الاخوة والابناء الأعزاء، انتا نحن، والعالم كله، ننشد السلام، ولكننا، أئن اتجهنا، لا نلقى غير الانقسامات، والخصومات، والحروب. ذلك انتا لم ننشد هذا السلام من ينابيعه. ويُسوع المسيح وحده هو ينبع السلام الدافق. انه السلام الحق، على ما قال: "السلام استودعكم، سلامي خاصة أعطيكم، لا كما يعطي العالم، انا أعطيكم". وكل سلام آخر، هو سلام خداع، لانه اما ان يقوم على القوة، والبطش، واما على توازن القوى، والرعب، واما على المعاهدات المفروضة التي يذعن معها الضعيف للقوي، وهو لا يزال يتحين الفرص المؤاتية لينقضها ويخرج على موجباتها.

وأي سلام يمكننا ان ننتظره من حرب قد تندلع نارها على أرض منطقتنا، وبدأ الاعداد لها باستقدام الجنود والمعدات الحربية، والبوارج والطائرات والراجمات. ولا تزال هذه المنطقة عينها تعاني حرباً مشتعلة على حدودنا الجنوبية، وفي كل يوم قتلى وجرحى وبيوت تهدم، ومدن تتمرّر. وهذا يجري على أرض كان من المفترض ان ينطلق منها السلام ليشمل العالم بأكمله. ألمـا دعيت مدينة القدس اورشليم، اي مدينة السلام؟ ولكن السيد المسيح قد سبق ان أنذرها بما ينتظـرها من خراب بقوله لها: "يا اورشليم، يا اورشليم، يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت ان أجمع بنـيك فيكـ، كما تجمع الدجاجة فراخـها تحت جناحيـها، ولم تـريـدوا. هـذا بيـنكـ يـتركـ لكم خـرابـاـ. وهذا هو مـصـيرـ من يـرـفـضـونـ اللهـ وـيـتـكـرونـ لـتـعلـيمـهـ".

وفـيـ نـارـ تـقـرـبـ مـنـاـ، نـرـوحـ نـتـلـهـ بـمـشـاحـنـاتـ وـمـهـاـتـرـاتـ لـاـ مـكـانـ لـهـ وـبـخـاصـةـ فـيـ هـذـهـ الـظـرـوفـ الشـدـيدـةـ الصـعـوبـةـ التـيـ نـمـرـ بـهـاـ، وـالـتـيـ بـلـغـتـ مـعـهـاـ الـأـمـرـ مـاـ بـلـغـتـ. وـهـنـاكـ شـعـبـ يـتـظـاهـرـ بـكـثـافـةـ اـحـتـاجـاجـاـ عـلـىـ تـحـمـيلـهـ ضـرـائـبـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ بـعـدـ اـنـ يـتـحـمـلـهـاـ. وـبـاتـ فـيـ مـجـمـلـهـ يـئـنـ مـنـ دـيـونـ باـهـظـةـ تـرـهـقـ كـاـهـلـ، وـكـاـهـلـ أـبـنـائـهـ وـمـنـ بـطـلـةـ تـكـادـ اـنـ تـكـونـ شـامـلـةـ، وـمـنـ فـقـدانـ فـرـصـ عـلـمـ بـورـثـ الـجـوـعـ، وـمـنـ اـنـتـهـاـكـ لـحـرـمـةـ مـؤـسـسـاتـ تـرـبـوـيـةـ لـهـ قـوـانـينـهاـ وـأـنـظـمـتهاـ، وـمـنـ غـيـابـ الشـفـافـيـةـ فـيـ مـعـالـجـةـ شـؤـونـ الـدـوـلـةـ الـمـالـيـةـ، مـمـاـ أـلـقـىـ ظـلاـ منـ الشـكـ عـلـىـ بـعـضـ مـنـ يـتـولـونـ الـاحـکـامـ. وـهـذـاـ كـلـهـ مـؤـذـ، بـيـعـدـنـاـ كـثـيـراـ عـنـ السـلـامـ المـنـشـودـ".

وـأـنـاـ اـذـ نـنـاشـدـ الجـمـيـعـ العـودـةـ إـلـىـ ضـمـيرـهـ وـرـبـهـ لـيـتـقـوـ اللهـ فـيـ وـطـنـهـ وـمـسـتـقـلـ أـبـنـائـهـ، نـسـأـلـ السـيـدـ المـسـيـحـ بـشـفـاعـةـ وـالـدـتـهـ الـبـتـولـ، وـفـيـ ذـكـرـيـ مـيـلـادـهـ بـالـجـسـدـ، اـنـ يـلـهـمـنـاـ الـاقـنـاءـ بـمـثـلـهـ، وـالـتـشـبـعـ مـنـ تـعـالـيمـهـ الـاـنـجـيلـيـةـ، وـمـدـنـاـ بـالـقـوـةـ لـنـسـعـهـاـ فـيـ حـيـاتـنـاـ الـيـوـمـيـةـ مـوـضـعـ الـعـمـلـ، وـاـنـ نـحـظـىـ دـائـماـ، مـقـيـمـينـ وـمـنـشـرـينـ بـرـضـاهـ وـبـرـكـاتـهـ".